

من أخبار العلماء

الحمد لله الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم . القائل لنبيه : (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي
عِلْمًا) [طه: ١١٤] . وقال سبحانه : { وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ } [النساء: ١١٣] .

إليكم هذه الباقية من أخبار علمائنا ، أخباراً متفرقة لعلماء معاصرين ؛ للتعريف بهم ، و
الاقتداء بأفعالهم ، و ذكر فضلهم ، و وفاء لحقهم ، و إشاعة نماذج و قدوات للجيل الحال
، و رفعاً للإحباط و دفعاً للتشاؤم .

وربما تأتي أو تتوارد بعض الأفكار أثناء الجمع ، لأنني كنت في محاضراتي السابقة أتكلم عن
شخصياتٍ كاملة ، وفيه تعب الكلام عن شخصية واحدة أو شخصيتين فيه تعب للسامع
والملقي ، لكن رأيت أن آتي بطريقة أخرى كما مرت في هذا الجامع الاهتمام بالوقت عند
العلماء ، أو أن آتي بعناوين مثل محاضرة اليوم ، عناوين وكل عنوان له بعض المواقف التي
مرت ، وتشاهدون إن شاء الله وتسمعون بعد قليل .

و سأتطرق في هذا المبحث عن ما يتعلق بالعلماء مع الكتب ، و السجن ، و الأذى ، و
القتل ، و الإخراج من البلد ، و حسن الخلق ، و غيرها معها من القصص التي فيها ملمح
عن الحفظ ، أو حفظ الوقت ، أو عن قراءة الكتب ، و هكذا .

العلماء و الكتب

أحوال العلماء مع الكتب كثيرة ، فيما يتعلق بالقراءة و الإهداء ، و نحو ذلك . و قد اشتهر بين أهل العلم و الفضل إهداء الكتب ، من أولئك :

الشريف السيد الحسيني الشيخ نعمان الألوسي العراقي ، المولود في بيت علم وسط بيئة جهل ، فالبيئة المحيطة بهم في العراق بيئة خرافات و جهل ، و تصوف ، و لكن بيت الألوسي كان بيت علماء . و كانت لهم القيادة و الريادة العلمية في بغداد ، و بين الشافعية ، و كذلك بين أوساط أهل السنة . فلما حج نعمان الألوسي ، مرّ في طريقه و هو ذاهباً إلى الحج مرّ بمصر لمتابعة تفسير والده التفسير المشهور (روح المعاني) . ففي ذهابه لمصر اطلع على كتاب (فتح البيان) ، و هو تفسيرٌ للشيخ صديق حسن خان ، من علماء الحديث في الهند ، و هو زوجٌ لملكة في الهند ، كانت تحضر له الدروس ، و اللقاءات العلمية ، و هي ملكة و طالبة علم ، فعرضت نفسها عليه فتزوجها ، فبدأت تنشر الكتب ، و يشير عليها الشيخ بإشارات فتطبع الكتب و تنشر ، صديق حسن خان رحمه الله الذي كان تفسيره بعنوان (فتح البيان) .

ثم إن نعمان الألوسي قد اطلع عليه ، فتمنّى أن تكون له من هذا التفسير نسخة . فلما حج سأل أهل مكة عن صديق حسن خان ، و هل هو موجود ، و سألهم عن كتابه ، و عن مؤلفاته ؛ ذلك أنه أحبه و تمنّى لقياءه . فدلّه الناس على الشيخ أحمد بن عيسى ، من علماء نجد ، من أهل أشيقر النجدي ، و قد كان ذهب للتجارة في مكة ، فاهتمّ بالتجارة مع تعليم العلم . فالتقى نعمان الألوسي بأحمد بن عيسى النجدي ، الذي يسمونه الوهابي . فلما التقى به وجد حسن الخلق و التعامل ، فأهداه هذا الكتاب هدية ، فما وصل نعمان الألوسي إلى العراق ، حتى أرسل الأشواق و المحبة لأحمد بن عيسى . و اهتم بالكتاب و قرأه ، و صار هذا من أسباب تحوله عن التصوف إلى مذهب أهل السنة و الجماعة .

ثم ألف الألوسي كتاب (محاكمة الأحمدين) ، يحاكم فيه بين أحمد بن حجر الهيثمي الصوفي ، و شيخ الاسلام ابن تيمية . ذلك لأن أحمد بن حجر لا يجد فرصة في الفتاوى إلا وينقد فيها ابن تيمية . فكان ذلك سبباً في تأليف كتاب (محاكمة الأحمد) .

و كان ابن أخيه ، الشيخ محمود شكري الألوسي ، أحد العلماء أيضاً في العراق ، أقام و استمر بها ، و كان قد نشأ على التصوف إلى أن جاوز الثلاثين ، ثم إنه دخل مرةً مكتبة عمه نعمان الألوسي ، فرأى كتب ابن تيمية و ابن القيم مما أهداه الشيخ أحمد بن عيسى النجدي ، و احتفظ بها الشيخ نعمان ، فهام بها و أحبها ، فنجّاه الله من التصوف .

و كان محمود الألوسي يتعامل بالتقية ، كما يقول تلميذه محمد بهجة الأثري ، و هو من علماء السلفية في العراق ، فيقول : كان يستخدم التقية مع قومه ، فلو أظهر لهم أنه ترك التصوف لرموه عن قوسٍ واحدة .

و من صور التنازل لهم : أن شرح منضوماً لأبي الهدى الصيادي الرفاعي في الحث على التصوف ، و هو لا يؤمن بقضية المصافحة المشهورة عند الرفاعية ، فشرح تلك القصيدة المعروفة عند الرفاعية ، لكن بعد مدة لما اشتهر أمره و اشتد عُوده و تقدّم في السن عارضَ قومه و ترك كل التصوف .

الشيخ محمد حامد الفقي ، أحد أبرز علماء السلفية في مصر . لما تخرج الشيخ -رحمه الله- من الأزهر ، ذهب من القاهرة إلى قريته ليقيموا له حفلاً لتخرّجه .

و في طريقه لقريته إما في الذهاب أو الإياب ، مرّ بأحد الفلاحين ، و كان ذلك الفلاح عنده شيء من طلب العلم ، و هو أقرب إلى العامة ، سلفي المعتقد ، و قد تعمد أن يستقبل هذا الشاب المتخرج ، و أن يكرمه ، ففعل و وُضع أمامه بعض الكتب ، من ضمنها كتاب (اجتماع الجيوش الإسلامية غزو المعطلة والجهمية) لابن القيم . فأخذ الشيخ الفقي الكتاب يتصفحه ، و لسان حاله يقول :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

بعد أن تعمد الفلاح التأخر ، جاء إلى محمد حامد الفقي ، فقال : أنت يا ابني درست و تعلمت ، و تعرف علم أوروبا ، و لا عرفت التوحيد .

فقال محمد حامد الفقي : ما هو التوحيد ؟

قال الفلاح : التوحيد هو مذهب السلف . فبدأ يشرح له ما هو مذهب السلف ، فارتاح لهذا الكلام، ودلّه على دار الكتب المصرية ، و أن يبحث عن ركن كتب السلف ، كتب ابن القيم و ابن تيمية ، و أخبره أنه سيجدها قد علاها الغبار . فقال له : انفضها ، و حرك هذه الكتب ، و انشرها بين الناس .

فصارت هذه الزيارة مباركة ، و هذه القصة أخبر بها الشيخ محمد حامد الفقي الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله ، حيث كان قد تتلمذ عليه ، و كان إذا زار مكة للتدريس زاره الشيخ حماد الأنصاري ، فكان سؤاله له أن حدثنا عن تحولك من التصوف إلى مذهب السلفية .

الشيخ أبو بكر خوقير الكتبي المكي ، كان ممن نشر الكتب ، توفي عام تسع و أربعين و ثلاثمائة و ألف . و هو من علماء الحنفية و درّس في الحرم ، من أهل مكة من الصوفية ، و كان يسافر إلى الهند لجلب الكتب السلفية إلى مكة بعد أن هداه الله .

و قد أُوذي و امتحن ، و سجن قريباً من السنتين في مكة بسبب شريف مكة . فقد ادّعوا أن الشيخ يخطط لقلب الحكم ، و أنه أتى بمذهبٍ جديد ، و أنه وهابي ، فما كان من شريف مكة إلا أن أودعه السجن . ثم أُخرج ، ثم أُدخل السجن مرة أخرى لسبع سنوات . و كان قد زاره بعض وجهاء مكة ممن رثى لحاله ، فوجد أظافره قد طالت ، و شعره قد طال ، و ثيابه رثة ، و لا يُعطى ما يريد ، و لا يُمكن من أن يتنظف تضييقاً عليه . و مات ابنه الذي سُجن معه فحصل له أذى عظيم .

و في ذات مرة ، حين أصبح أخبر الناس برؤيا قد رآها ، و مفادها : أن أشخاصاً قد لبسوا ثياباً بيضاً قد هجموا على مكة و أخرجوا المساجين ، فأخبر من معه بذلك .

و ما انتهى ذلك اليوم ، حتى أُخرجوا من السجن . و إذ بالملك عبد العزيز قد غزا مكة ، و أن البعض من جُند الملك عبد العزيز قد استولوا على مكة ، ثم أخرجوا السجناء ، و بالذات الشيخ أبو بكر خوقير - رحمه الله - . و قد ألّف كتاب (السجن و المسجونون) ، حول تلك الحادثة و أحوالها .

الشيخ محمد الهدية ، أحد علماء السلفية في السودان ، و من مؤسسي جماعة أنصار السنة المحمدية في السودان .

و في سبب تسميته (الهدية) لطيفة ، فيقول : كان قد ولد لأبي ، فكلما ولد واحد مات ، ثم مات ، ثم مات ، فلما بقيت و طال بي العمر ، أسموني محمداً ، و لكن لما طال بي العمر أطلقوا علي لقب (الهدية) ، واستمر اسمي (محمد الهدية) ، و هو عباسي .

كان الشيخ محمد الهدية على الطريقة العزمية الصوفية ، فلما حج قابل الشيخ عبد الظاهر أبو السمح ، فأهداه كتاب التوحيد مع بعض الكتب . و قد رجع من الحج و هو أشعري صوفي على مذهبه و عقيدته ، لم يتغير ، لكن تأثر بسبب هذه الكتب ، و باستقبال إمام الحرم عبد الظاهر أبو السمح قبل أن يشتهر أمر الشيخ الهدية و يعرفه الناس .

و لما رجع إلى السودان ، التقى ببعض مشايخ أنصار السنة و حضر معهم ، ثم تأثر بالحضور معهم بسبب اللقاء الأول ، و بسبب كتاب التوحيد .

حكى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ قصة لها صلة بكتاب التوحيد ، ذلك أن بعض المشايخ أو الدعاة من مشايخ نجد قد ذهب إلى الهند فرأى منهم تنقص دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، و الدعاء عليه ، و على دعوته .

و قد حصل أيضاً للشيخ عبد الله القرعاوي - رحمه الله - شيء من ذلك عندما كان يحضر عند أحد الشيوخ في الهند . فيقول : لا يُختم الدرس إلا بالدعاء على محمد بن عبد الوهاب ، و على دعوته ، و يقول : اسأل الله أن لا يظهرها إلى يوم الدين .

و الشيخ عبد الله القرعاوي رجل حكيم -رحمه الله- ، عجيب جداً بدعوته و حكمته .
فعمد إلى كتاب التوحيد ، فأزال الصفحة الأولى ، و الاسم ، ثم وضع الكتاب لذلك
الشيخ الهندي عند مكان جلوسه .

و بعد الدرس ، بدأ الشيخ يتصفح و يقرأ ، و ارتاح للكتاب ، و شبّهه بكتاب البخاري .
فقال : ما هذا الكتاب ؟

قال القرعاوي : هذا كتاب التوحيد ، يقولون إنه لمحمد عبد الوهاب . فقال : كما دعوت
كثيراً على محمد بن عبد الوهاب في الدروس ، و في المسجد ، سأستمر أدعوه له ، إنه مصلحٌ
قد ظلمناه .

و هذه من حكمة بعض أهل العلم ، و مثل ذلك ما كان يفعل الشيخ تقي الدين الهلالي
المغربي الحسني -رحمه الله- ، كان يطبع بعض الكتب في بلاد المغرب ، و في البلاد التي
يقدم عليها ، فكان يطبع بعض الكتب ، و يزيل اسم محمد بن عبد الوهاب ، و يسميه :
محمد بن سليمان الدرعي ؛ ذلك لأنه من الدرعية ، و الدرعي اسم لبعض القبائل أو
لبعض العلماء و المثقفين في المغرب ، فيروج بينهم الاسم ، و لا يُستغرب . و لم يكذب
الشيخ ، فقد نسبه إلى بلده . و بهذا كانت تنتشر كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب انتشاراً
كبيراً في المغرب .

و أهدى الشيخ عبد الظاهر أبو السمح كتاب ابن تيمية (التوسل و الوسيلة) لمحمد بن
عبد الرزاق حمزة ، فاهتدى من التصوف ؛ لأن مسألة التوسل من أعظم الخلافات بين
أهل السنة و الجماعة و بين الشيعة و الصوفية ، و هي من أعقد المسائل بين الشيعة و
الصوفية من جهة ، و أهل السنة من جهة أخرى .

كذلك من أسباب هداية الشيخ عبد الظاهر أبو السمح حثّ الشيخ محمد أمين الشنقيطي
، غير المفسر المعروف ، حثّ عبد الظاهر أبو السمح على العكوف على كتب ابن تيمية و
ابن القيم .

و عدد كبير من أهل العلم تتغير قناعاته بمجرد قراءة كتب ابن تيمية و ابن القيم . و كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - إذا طُلب منه التأليف ، يقول : تكفي كتب السلف ، و تكفي كتب ابن تيمية و ابن القيم .

و لو تأملت في الذين اهتدوا من التشيع أو التصوف بعد ابن تيمية و ابن القيم فإنك تجد أن منهم من وُفق لأن يكون عالماً مجتهداً مبرزاً في العلم ، مشهوراً بين أهل العلم لا بد أن يكون له نصيبٌ من كتب ابن تيمية و ابن القيم . و اقرأ تراجم العلماء إن شئت ، فإنها منجمٌ غريبٌ عجيبٌ ، ذهبٌ خالصٌ .

كتب الشيخ محمد رشيد رضا في مجلة (المنار) مقالاً عن أهمية علم الحديث ، و التحذير من الكذب عن رسول الله ﷺ . فاطَّلَعَ عليه الألباني في شابه ، فأحب علم الحديث و اتَّجِهَ إليه . ثم نسخ بيده كتاب (المغني عن حمل الأسفار) ، للحافظ العراقي ، في تخريج الحديث . ثم بدأ يعمل على منواله ، حتى صار عالماً . و الشيخ الألباني له شيوخ ، ليس كما يظن البعض أنه تعلم بنفسه .

الشيخ عبد القادر الأرناؤوط - رحمه الله - : لما اقتنى كتاب (الوابل الصيب) لابن القيم أيام شبابه و شَى به بعض زملائه عند أحد شيوخه ، و كان من الصوفية وقتئذٍ ، فما كان من حمق شيخه كما هو حال بعض الصوفية إلا أن طرده من الحلقة ، على الرغم من أن ابن القيم محبوب عند الصوفية ، لكن لأنه من تلاميذ ابن تيمية . فقال له شيخه : تعرف أن ابن القيم تلميذٌ لابن تيمية ، و نحن الصوفية لا نحب ابن تيمية ، فطرده . و كان طرده خيرة له ، فصار سبباً لعكوفه على كتب ابن تيمية و ابن القيم .

و في أيام شبابه كان على المذهب الحنفي ، فيقول : كنت أيام الشباب أصلي مع بعض الحنفية ، و أجهر بالتأمين خلف الإمام ، و ما انتهيت من الصلاة حتى قالوا : وهابي ، إرهابي ، كافر . فيقول : فما اهتممت بهم و تركتهم .

و استمر في طلب العلم ، فنتج عن ذلك تركه للتعصب المذهبي ، و أقبل على كتب السنة .

توزيع الكتب

لما زار بلاد الشام سلطان مراكش ، و هو أحد سلاطين المغرب ، سارع الناس من طلبة علم ، و مثقفين ، و وجهاء للسلام عليه ؛ لأجل حظوة مالية أو هبة مادية ، و لم يتحرك أي همٍ أو رغبة للشيخ جمال الدين القاسمي -رحمه الله- في ذلك ، لكنه علم أن سلطان مراكش كان ممن يطبع و يهتم بالكتب . فزار السلطان ، لا يريد زيارته لأجل مكانته أو مادته ، إنما قال له : أنا أتيتك لأنني سمعت أنك طبعت كتاب (الإصابة) لابن حجر ، و طبعت بعض الكتب ، و بعض العلماء في الشام يريدون ما طبعته من كتب . فأعجب به سلطان مراكش ، و قال : هذا يختلف عن البقية الذين جاءوا للحظوات و المال . فقال له السلطان : اكتب ما شئت من الأسماء . فكتب له ثلاثين اسماً من العلماء . فما وصل إلى المغرب حتى أرسلها لهم ، ثم وزعها على طلبة العلم و العلماء .

الصبر على الأذى

بعض الجهلة حرّقوا كتب الشيخ عبد القادر بن بدران الدومي الحنبلي السلفي ؛ لأنه سلفي حنبلي وهابي في نظرهم ، مع أنه من علماء بلاد الشام ، و دوماً بالتحديد ، و التي كان فيها حنابلة ، وما زالت إلى وقتٍ قريبٍ مراجعاً للحنابلة ، مع وجود التصوف عند بعض علمائها . فتعرض لهذا الأذى لما كان يخرج عن التصوف ، فألبوا الناس عليه و أحرقوا كتبه .

و لم يكن معه أحدٌ يناصره ، و لا من يدافع عنه ؛ لأنه سلفي و حنبلي ، لكنه شكّا إلى الله ظلم هؤلاء .

و يقول الشيخ علي الطنطاوي - رحمه الله - : لما كنت صغيراً تكلم عني بعض الزملاء أني وقفت على حلقة الشيخ عبد القادر بن بدران ، و أنني أعجبت بكلامه . فأخبروا بعض شيوخني من الصوفية ، فضربوني فلكة .

و مثل هذه الأخبار تُبين مدى الحصار الذي ضُرب على الشيخ عبد القادر بن بدران . فما كان منه والشيخ جمال الدين القاسمي إلا الاتصال و المراسلة و حث بعضهم على الصبر . فإن المجتمع كان يتواصى على الشدة على العلماء ، ثم يوصي بعض الآباء أبناءهم بالتمسك بالتصوف ، منهم والد علي الطنطاوي الذي أوصى ابنه بالتمسك بالتصوف و الخرافات ، لكن الله سلّمه ، فرزقه الله بالشيخ محمد بهجت البيطار السلفي .

و ما حدث مع الشيخ جمال الدين السلفي رحمه الله أعجب . فقد أحضره علماء المذاهب في بلاد الشام و استتابوه ، و كتبوا عليه محضَر توبة : أن لا يفتي لا بصحيح البخاري و لا يخرج عن المذاهب الأربعة ، و الأعجب أن هؤلاء كانوا علماء ، فرحم الله العلم . و كان بين الألويسي والقاسمي محبة ، و كان من أهم اهتماماتها التوصية بكتب ابن تيمية ، يفرحان إذا طبعت بالهند أو بمصر . و لا يُستغرب ذلك لأن ذلك كان قبل جمع الفتاوى التي متعنا الله بها في هذا الزمان . كما كانوا يتواصلون على كتب ابن القيم ، ثم إذا وصلت إليهما أو إلى أحدهما نسخة ، فإنه يرسل نسخة إلى الآخر .

و من طريف ما يذكر في ما يتعلق بالوهابية : أن المثقف السوري النصراني فارس الخوري كان يتردد على الشيخ محمد جمال الدين القاسمي ، و على الشيخ محمد بهجت البيطار السلفي ، فبدأ الناس يطلقون عليه أنه وهابي .

و يذكر أبو الحسن الندوي الهندي عن أحد التجار البوذيين الهندوس في الهند : أنه كان تاجراً مؤثراً ، و معلوم أن بين التجار منافسات . فما استطاع أحد التجار أن يكسر تجارة هذا الرجل ، حتى ادّعى أن التاجر (الهندوسي) الفلاني وهابي ، فأعرض الناس عن ذلك التاجر ، بل بدأ المسلمون لا يشترون منه ، حتى قام هذا البوذي في المسجد أمامهم و قال : إني تركت الوهابية ، و إني على دين البوذية . ففرحوا به وعاملوه ، و انظر إلى البدع و التسلط و الظلم و ذهاب العقول .

كذلك أوقف الصوفية الشيخ الألباني -رحمه الله- و هو يتنقل بدراجته الهوائية ، و هو عالم و محقق . فأوقفوه بين بعض القرى في الشام و قاموا بضربه ؛ لأنه أشغلهم بعلمه و عقيدته التي يدعو لها .

و لذلك كانت طريقة الألباني أن يُستضاف بيت عدد من طلابه و من أهل العلم . و شدة الشيخ و حدته ناشئة عن تربيته في الأصل ، فقد نشأ على المذهب الحنفي في بيئة متعصبة . و لما منّ الله عليه باتباع مذهب السلف طرده أبوه ، و خيرّه والده بين التعصب للحنفية أو الطرد من البيت ، فقال له : إما أن توافق ، أو تفارق . فقال : لا ، أختار مذهب السلفية و أفارق . فخرج من البيت .

أحكام القتل

حكم على الشيخ أبي الأعلى المودودي -رحمه الله- بالإعدام ؛ لأنه كان من دعاة الانفصال بين الهند و باكستان ، و ذلك لتسلط الهندوس على المسلمين .

و يعود السبب في دعوة الشيخ و بعض علماء الهند و باكستان إلى الانفصال إلى أن الهند كانت قوية ، و عانى المسلمون من تسلط الهندوس . أما إذا استقلت باكستان فسيكون

لها قوة ، و للمسلمين من باب أولى قوة . فهذا ما كان يشغل فكر أبي الأعلى المودودي و غيره من أهل العلم ، على الرغم من أن الشيخ هندي الأصل ، لكن السلطات الهندية حكمت عليه بالإعدام .

ضج أهل باكستان لحكم الإعدام ، و ناصرُوا الشيخ المودودي حتى أسقطوا هذا الحكم من الناحية القانونية . ثم أصدر الشيخ فتوى بتكفير القاديانية ، و فرقة القاديانية ترأسها أحمد غلام القادياني ، و الذي هو ربيبة البريطانيين ، ثم ادعى النبوة فيما بعد ، فأتوا به إلى الهند ، و صار له مذهب ، بل دين يتبع . فحكم بكفرهم الشيخ أبو الأعلى المودودي .
فبيّن في رسالته كفر القاديانية، وأنها صنعة الاستعمار. و سُجن لأجل ذلك ثلاث مرات .

الشيخ عبد الحميد بن باديس : من علماء الجزائر ، و من مناهضي الاستعمار . كان قد فسر القرآن في الجامع الكبير في الجزائر في العاصمة ، فلما انتهى من التفسير و قد شحنهم إيماناً ، و دينياً ، و علمياً دعى الناس للخروج بالسلاح ضد الفرنسيين .
و الشيخ كان من الصوفية ، فلما ترك التصوف أرسلوا شخصاً بالتنسيق مع المحتل لاغتيال الشيخ ، لكنه أخطأ ، أو ارتبك ، فقبض عليه تلاميذ الشيخ فعفا عنه .

الشيخ عبد الله القرعاوي : داعية الجنوب ، تعرض في جازان لثلاث حالات اغتيال . أما الثالثة فكاد أن يُقتل ، لولا أن زوجة الرجل الذي تعرّض له كانت امرأة صالحة ، فقالت لزوجها : كيف تقتل الشيخ ، و هو أعطاك الدين ؟

و كان الشيخ حافظ الحكمي - رحمه الله - يقول للشيخ عبد الله القرعاوي : احمل الجنبية يا شيخ معك ، خذ معك سلاحاً ، فأنت في بلد تسافر الليالي و الأيام من جبل إلى جبل ، و من قرية إلى قرية ، و لا تحمل معك جنبية ، و لو اعترضك أحدٌ لقتلك . فقال الشيخ : لا ينبغي لطالب العلم أن يحمل السلاح ، و أنا متوكّل على الله . فأنجاه الله من كثير من محاولات الاغتيال .

الشيخ عبدالرحمن السعدي ، وشى به بعض الحساد في بلدته في مسألة معروفة و مشهورة هي مسألة (ياجوج و مأجوج) . و الشيخ كان يرى أن خلاصة بحثه أوصلته إلى أنهم هم أهل الصين . فالوشاة أرسلوا للملك عبد العزيز : أن الشيخ أتى بكلامٍ لم يأت به أحد ، و ربما يعلم به الصينيون فيهاجمونا .

فاستدعي الشيخ إلى مجلس الشيخ محمد بن إبراهيم ، و جمع له العلماء ، و قابل الشيخ ابن السعدي و أكرمه . ثم قال : نُقل عنكم يا شيخ كذا و كذا . فبيّن الشيخ رأيه ، فعرف المشايخ رأي الشيخ السعدي . فقالوا مع الشيخ ابن ابراهيم : لكن لا نريد أن تذكر مثل هذا الأمر . و انتهى المجلس ، و لم يعاقب الشيخ بشيء .

و كان الملك عبد العزيز قاصداً القصيم في موكب ، فكان من ضمن الركاب الشيخ السعدي في الموكب . و أسقط في أيدي الحُساد ، و تسامع الناس بهؤلاء الحساد ، و علم بهم آباؤهم ، و وبخوهم كيف تقولون هذا الكلام عن الشيخ ، و كيف تهينون الشيخ . و الشيخ له حظوة عند الشيوخ ، يريدون بالشيوخ : الملك عبد العزيز و ابن ابراهيم ، فذهب الشيخ يشفع لهم عند آبائهم ، و يقول : قد عفوت عنهم اتركوهم .

كذلك الشيخ ابن عثيمين في أيام شبابه ، في سن الأربعين ، ظلم بمسألة من مسائل العقيدة فهمت عنه فهماً خاطئاً ، فظلم الشيخ ، و كتب فيه ، ثم قالوا : يا شيخ بعض هؤلاء الذين تكلموا عليك ألا ترد عليهم ؟ قال : إذا كان الشيخ طالب علم ، و يريد نصرة مذهب السلف و ردّ علي ، و خطأني ، أو تكلم عني ، فأنا قد عفوت عنه .

الشد من أزر العالم

يذكر الشيخ محمد لطفي الصباغ رحمه الله أن الشيخ الألباني كان فيه شدةٌ وحدّةٌ ، وهذه طبيعته ، مع أنه طريفٌ لطيف ، كثير التبسم والدعابة ، وهذا ظاهر في محاضراته ومجالسه التي فيها حوارٌ ونقاش ، حتى أن بعض الأعداء قالوا : ليس في محاضرات الشيخ ولا جلساته ، ولا فتاواه أي علم ، ما فيها إلا ضحك .

فيذكر الصباغ أن شيوخ السلفية في زمن الشيخ الألباني ، وهو في الأربعين من عمره ، كان شيوخه من السلفية يوصونه بالثبات والتحمل والصبر . هذا كلام الشيخ محمد لطفي الصباغ ، و من شيوخه الذين كانوا يشجعونه : الشيخ محمد بهجت البيطار ، و الشيخ عبد الفتاح الإمام ، و حامد التقي ، و توفيق البزرة . و كان هؤلاء من سلفية الشام ممن كان لهم حظوة في بلاد الشام ، لكن ما استطاعوا أن يُظهروا ما أظهره الشيخ .

رحل الشيخ سعد بن حمد بن عتيق لطلب علم الحديث في الهند بإيعازٍ من والده الشيخ حمد -رحمهما الله- . فكانت هذه الرحلة سبباً في التواصل بين الشيخ حمد ، و الشيخ صديق حسن خان . فكان بينهما مراسلات . و كان الشيخ حمد يثني على الشيخ صديق حسن في مؤلفاته ، و علمه ، و براعته في التفسير ، و الذي اهتدى بسببه الألوسي ، و يشكر له بذله المال في العلم و نشر الكتب .

مناظرات العلماء

الشيخ الألباني رحمه الله أخباره في المناظرات ، و المناقشات العلمية قد تستوعب عدداً من المجلدات . فقد واجه الأحباش ، و الصوفية بطوائفهم ، و المشعوذين ، و مدعي علم الغيب ، و كان له ظهور عليهم في مناظرتهم .

من أسرع المناظرات التي كان طرفاً فيها ، و انتهت سريعاً بفضل الله ، ما كان مع أحد مدّعي الغيب . فقد دعي الشيخ لمناظرة مع أحد مدّعي علم الغيب ، من المتكهنين ، فلما أراد أن يبدأ الكاهن ، قال الشيخ : إني أريد أن أقول لك شيئاً في نفسي . فقال له : قل ما تريد . قال الشيخ : أنت الآن تدّعي علم الغيب ، و لا تعرف ما في نفسي . فبطلت المناظرة بحمد الله ، و انتهت .

و كان الألباني رحمه الله ذكياً ، المعياً ، لماحاً ، يمد الحبل للشخص ليفرح و ينتفش ، ثم ينقض عليه . و من ذلك بعض المناظرات مع بعض الشباب المتأثرين بالفكر التنويري ، و الأفكار ، و الرد على بعض متبعي رأي الأحباش .

و من المناظرات أيضاً : أنه سمع أن أحد الصوفية الرفاعية يطعن نفسه بالشيش و لا يتأذى . فذهب الشيخ ، مدفع التوحيد رحمه الله ، و قال له : لا أريد سكيناً ، و لا شيء ، لكن عندي إبرة صغيرة ، فافتح عينك حتى أدخلها فيها . فهرب ذلك الصوفي من البلد كله . و كان من طريقتهم أنهم يستعينون بالجن ، و بالسحر . فأراد الشيخ أن يقرأ آية الكرسي و يدخلها في عين ذلك المشعوذ ، فهرب .

كثرة المعارف

تعرف الشيخ علي الطنطاوي على الشيخ محمود الصواف الموصل العراقي ، و كان شاباً يدرس في الأزهر ، و قد درس الشيخ علي الطنطاوي سنوات في العراق ، و بيروت ، و

درس في مصر لما ذهب إلى خاله محب الدين الخطيب . فيقول : انتفعت بزيارة المكتبات ، و دار الكتب المصرية ، و مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، و مجالس العلماء ، و مجالس محب الدين الخطيب الذي كان معلماً وقتها .

و يقول الطنطاوي عن الصواف : فتعرفت على شابٍ متحمس جداً في خطبه النارية ، و في بلاغته ، و كلامه ، و كان من شدة حماسه يتحمس معه الطلاب و المعلمون في الأزهر .

و يضيف الطنطاوي : لما ذهبنا إلى العراق مع الصواف ، و الشيخ أجمد الزهاوي ، و محمد أمين الحسني، من ضمن الزيارات للتعريف بقضية فلسطين و استنهاض الهمم لأجل فلسطين ، و كانوا قد ذهبوا لأكثر من بلد ، ذهبوا لشرق آسيا ، و ذهبوا لمصر، و بعض البلاد ، فيقول : لما ذهبنا للعراق ، كان الشباب يقابلوننا في كل محافظة كأننا في موكب أمير؛ لأجل محمود الصواف ، فتعجبت من هذا الرجل كيف اجتمع له هذا العدد الكبير من الشباب و هو شاب . و ما ذلك إلا لكثرة معارفه ، و لأنه يحفظ الاسم للوهلة الأولى ، و لا ينسى . و قد درس الطنطاوي في العراق قبل التعرف بالصواف بمدة ، فيقول : ما وجدت في العراق إلا علماء كبار في السن و عوام ، و ليس فيها شباب يهتمون بالدعوة ، و ليس هناك صحوة في العراق ، فتعجبت لهذا الرجل كيف حرك هؤلاء الشباب في سنياتٍ قليلة . و يصف حال الصّواف ، فيقول : حتى في شدة البرد ، كان البرد يلفح الوجه ، ما نتحمل . و كانوا يخرجون صفوفاً لاستقبالنا في بعض القرى و المحافظات في العراق . و قد عرّفني ببعض أهل بلدي من أهل الشام عرفني عليهم . و كان الصواف إذا زار الشام زار أناساً أنا لا أعرفهم ، فعرفني بهم .

وبعض الناس له حب للتعارف ، اجتماعي بطبعه . فيحب التعرف بخلاف الطنطاوي ، الذي يخبر عن نفسه ، فيقول عن نفسه : من أثقل ما أرى إذا دعاني شخصٌ لوليمة ، و أفرح إذا عذرني ، و أستثقل الجلوس عند أحد ، إلا شخصاً كأني جالسٌ مع نفسي ، و هم قلة . و ذكر منهم الشيخ عبدالعزيز بن صالح رحمه الله . ثم يقول : و لا أكاد أوافق على دعوةٍ

رسمية ، إلا عندما جاء إلى الحج ، و كان في الموسم دعوات رسمية زار خلالها بعض
الأمراء .

ترك الكلام فيما لا يدري

كان الشيخ الألباني إذا سئل عن بعض المسائل في المواريث يقول : لا أعرف ، لا أجيب
فيها ، ليس لي تخصص فيها.

و الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله كان لا يفتي بمسائل الطلاق أبداً . و يقول :
سلمني الله من القضاء ، فأسلم نفسي من الطلاق .

و الشيخ محمد الأمين الشنقيطي كذلك لا يفتي بالطلاق أبداً .

و يقول الشيخ حماد الأنصاري : حفظت متوناً و منظومات و ألفيات في الفقه ، لكن إذا
جاءتني مسألة في الحيض كنت أحيّر من ضب . و هذا من تواضعه رحمه الله .
و قوله : أحيّر من ضب ، هذا مثلٌ معروف عند العرب ؛ لأن الضب إذا خرج من جحره
وخاف فإنه يدخل في أي جحر ، و لذلك قد يدخل الضب على جحر حية أو عقرب ،
يدخل إلى جحر عقرب ، و هما قرينان : الضب والعقرب ، و محبان لبعض .

و أحد طلبة العلم يقول : رتبت لقاءً بين الشيخ عبد الرحمن البراك والشيخ ابن باز ، فكان
لدى الشيخ عبد الرحمن بعض المسائل و النوازل المهمة ليناقشها مع الشيخ . فيقول : لما

دخلنا عند الشيخ ابن باز قال : الحمد لله ، جابك الله يا شيخ عبد الرحمن ، عندي بعض الإشكالات في الحيض أريد أن أسألك. وهذا الكلام يقوله الشيخ ابن باز لأحد تلاميذه .

هم الرجال وعجز أن يقال لمن لم يتصف بمعالي وصفهم رجل

في آخر رمضان للشيخ بن عثيمين رحمه الله ، قال في الدرس عن زكاة الفطر : أنها كيلو و نصف . وهما منه ؛ لشدة مرضه ، فقد كانوا يبعدون الأكسجين عنه ويدرّس ، والأجهزة الطبية على جسده .

و في الدرس التالي ، من الغد ، قال : لقد ذكرت أن مقدار الزكاة كيلو و نصف ، و وهمت ، و هي كيلوين و نصف .

و خطب الشيخ ابن عثيمين ذات مرة خطبة عن فضائل الفاتحة ، و قال عن الفاتحة في أثناء الخطبة : أنها تُقرأ بعد الصلاة ، و عند النوم . و بعد الصلاة ، جاء أحد الطلاب ، و قال : يا شيخ ، تقصد آية الكرسي أو الفاتحة ؟ فقال : نعم ، أخطأت . فقام الشيخ ، و أخبر الناس أنه قد أخطأ ، و تراجع عن ما قال .

حسن الخلق

حسن الخلق سببٌ للتأثير في الناس ، فكثير من الناس أخلاقهم حسنة ، و من أمثلهم و أجودهم في حسن الخلق : الشيخ عبد الرحمن السعدي . كان قد أثر في تلاميذه القرعاوي ، و ابن عقيل .

و الشيخ ابن السعدي مشهور بحسن الخلق ، ومعاملة الجميع ، بل و يعامل كل شخص على طريقته ، حتى الأطفال . من ذلك : أن إحدى بناته قالت له : لماذا لا تزورنا في بيتنا ، و كانت تلعب مع بعض بنات الجيران داخل بيتهم ، فدعت الشيخ على قهوة في حوش البيت . فقال : إن شاء الله آتيكم . و لما جاء الشيخ استأذن عليهم ، كأن ابنته و البنات اللاتي معها نساءً كبيرات ، أَدْخَلَ عليكم ؟ قالوا : أَدْخَلَ ، أَدْخَلَ يا شيخ . فجلس معهم و شرب القهوة .

وكذلك من أصحاب الخلق الحسن الشيخ أحمد بن عيسى التاجر النجدي الذي ذكرته قبل قليل، تاجرٌ وهو في نفس الوقت عالم، لكن ذهب إلى مكة للتجارة، فبدأ معاملة الناس بالحسنى والصدق في التجارة فجاء أحد التجار يسمى عبد القادر التلمساني من تجار مصر، قيل المغرب وقيل مصر، من الصوفية، ممن يدعم كتب الصوفية، فتعرف على هذا التاجر أحمد بن عيسى، يأتي له بالأقمشة من مصر، بعض الأرزاق، كل ما جاء كل سنة إلى الحج يعطيه الشيخ المال كاملاً، مال السنة الماضية، يعطيه البضاعة للسنة القادمة، ويعطيه المال من مبيعات السنة الماضية، فقال انا بايعت الناس ولم أجد أكثر منك أمانةً، ماذا تكون أنت؟، فبدأ يعرفه بنفسه وبدعوته حتى هداه الله .

وبهداية عبد القادر التلمساني اهتدى وجيه جدة الشيخ محمد نصيف، هذا عالم ثاني، محمد نصيف أتمنى أن تقرأوا عنه بعض الكلام، الذي هو جد الشيخ عبد الله عمر نصيف، الشيخ محمد نصيف هذا يقول العلماء في زمنه من لم يدخل بيت الشيخ نصيف، أو الطنطاوي زاره، بالمناسبة الذي لا يجب أن يزور أحدًا زاره، يقولون الذي ما زار محمد نصيف ولا جلس معه لا بد أن يكون قد أهدته من كتبه من علماء الداخل والخارج .

اهتدى عبد القادر التلمساني بأخلاقٍ لأحمد بن عيسى، فاهتدى بسببه محمد نصيف وجيه جدة، والملك عبد العزيز إذا أراد أن يجمع أهل الحجاز أين يجمعهم؟، في بيت محمد نصيف، ليس هناك شيءٌ يجمعهم إلا كرمًا ومالًا وسعة، بأمر الله، إلا بيت محمد نصيف، فيجتمعون في بيته، حتى تعرف أهمية الشيخ أحمد بن عيسى رحمه الله وتأثيره بعبد القادر

التلمساني التاجر المصري، ثم تأثيره بالشيخ محمد نصيف الوجيه الأديب، لأنه صاحب مؤلفات أيضًا.

العلماء و النفع العام للناس

من العلماء من يبيعون و يشترون في الدكاكين ، و هذا ليس عيباً. فالشيخ الألباني كان يعمل بالساعات ، و كان قبل ذلك نجاراً في بداية أمره مع والده ، لكن مهنة النجارة تشغله عن طلب العلم ، فتركها ، ثم اشتغل بالساعات.

يقول : و لا أشتغل إلا بمقدار ما أكفي نفسي و أهلي . و يقول : العمل بالساعات علمني الدقة في الحديث .

و الشيخ له اختراعات ، فقد صنع مصعداً في بيته لما ثقل لتعدد الأدوار في البيت ، و كان عنده زوجات في البيت .

الشيخ القرعاوي لما ذهب إلى جيزان لم يجد طريقاً للدخول على أهل جيزان إلا أن يفتح دكاناً للتجارة ، فكان الدكان للبيع و الشراء و الدعوة و شرح الكتب ، و لا أحد يمنعه أبداً ، مع حسن خلقه . فكان من طريقته في الدعوة افتتاح الدكان .

كذلك الشيخ فهد العبيد ، من الصالحين ، و العلماء ، لكن يظهر عليه الزهد و العبادة أكثر من التعليم ، من شيوخ بريدة ، كان له محل ساعات ، و يفتح الدكان للدعوة و طلب العلم ، و قراءة بعض كتب أئمة الدعوة مع شرحها .

و من صور الحرص على نفع الناس ، ما كان بين الشيخ محمد بن عثيمين ، و أحد الشباب من الكويت . فقد حضر شابٌ من الكويت خطبة للشيخ ابن عثيمين عن أحكام الصيام ، وذلك قبل انتشار التسجيل في بدايات شهرة الشيخ . فقال : يا شيخ ، ليتها مسجلة . فقال : حسناً ، تعال معي إلى البيت . فذهب به الشيخ إلى البيت ، و ألقى الخطبة قائماً ، و سجل له ، و أعطاه الشريط . فمن يتحمل ذلك ؟

من مواقف العلماء مع الصوفية

الشيخ محمد جميل زينو ، أحد علماء الشام ، و كان من ضمن الصوفية ، ثم هداه الله ، و جاء لمكة و درّس في دار الحديث ، و هو صاحب مؤلفات . و لما كان في أيام شبابه كان يقرأ من كتاب رياض الصالحين حديث ابن عباس : إذا سألت فاسأل الله . ثم رجع لكلام النووي في شرح الحديث و تقرير الإمام النووي مذهب السلف حول سؤال الله عز وجل ، فقرر عدم سؤال المقبورين و لا غيرهم . ففرح محمد جميل زينو بكلام النووي . فقال لشيخه : يا شيخ ، هذا كلام النووي ، ما رأيك ؟ لأنهم يقررون سؤال غير الله ، و الحديث عن غلاة الصوفية ، فقد يوجد صوفي عنده نوع من التصوف في العبادات ، و لا أدعي أن هذا الأمر عند كل الصوفية . فيقول : لما ذكرت له كلام النووي ، و بدأت أناقشه فيه . قال : أنت وهابي . و أن لا أعرف ما هو وهابي ، فيئتي صوفية ، لكن بدأت أبحث عنها ، حتى سمعت عن مجلسٍ للوهابية مساء كل خميس ، يشرحون التفسير و الفقه و الحديث في بيت أحدهم ، و كان الطلبة قد جلسوا في المجلس ، و لما جاء الشيخ لم يقم له أحد ، فأثر بي أكثر . و بدأ يقارن بين أعمال الصوفية عندما يقدم الشيخ يسلم عليه الطلاب فيُقدم يده للتقبيل ، أم هذا

الشيخ لم يقيم له أحد، و بدأ يذكر العلم في التفسير، و العلم في الحديث، و العلم في الفقه، و تقرير السنة و الأحاديث . يقول : فأعجبني ، و دخل قلبي .

كذلك الشيخ محمد بهجت البيطار، من علماء الشام السلفية ، و كان قد أتى به الملك عبد العزيز وأقام في الطائف ، و افتتح دار التوحيد في الطائف ، و كان الشيخ محمد بهجت البيطار من مؤسسي مناهج التعليم في المملكة .

كان والد الشيخ محمد بهجت البيطار من غلاة الصوفية ، و الصوفية في تلك البيئة بسبب الغلو يحذرون من السلفية و من الوهابية ، حتى أن أحد الصوفية المهتدين من العراق ، و له وثائقي اسمه (الصوفية أفيون الشعوب) ، فيقول : من أسباب هدايتي أن الصوفية تتناقل أنك إذا صليت مع أحد الخطباء من السلفية في العراق تلاحظه لا يصلي على الرسول في الخطبة ، فيصدق العوام المساكين ذلك . يقول : فكان معي خنجر ، و قلت : إذا ما صلى على الرسول أطعنه أمام الناس . يقول : فلما خطب ، قال بعبارة عامية متذكراً من الخطبة : قال هذا الخطيب : اللهم صل على محمد ، و لن ندخل الجنة إلا من طريقة . يقول الرجل : بعدها تأثرت ، فصار سلفياً ، و ترك التصوف .

و عوداً على ما كان بين الشيخ محمد البيطار و والده ، فقد كان والده يحذره من السلفية ، لكن الشيخ وفقه الله للتلمذ على الشيخ جمال الدين القاسمي ، و بدر الدين الحسني ، محدث الشام ، و الشيخ محمد رشيد رضا . فأنجاه الله عز وجل من التصوف .

لكن هدايته كان والده، والد الشيخ علي الطنطاوي، كان والده من الصوفية، ويحثه على عدم ترك الصوفية والذهاب للسلفية، فكان يجالس الشيخ بهجت البيطار كثيراً، يقول فأتعبته، جلست معه سبعة عشر يوماً أو قريباً من ذلك في جلسات طويلة متتابعة، وكان الشيخ يتحملني ويحب علي شيء أنا وأخي سعيد، أخوه سعيد موجود الآن في مكة، أسأل الله أن يبارك في عمره، وأن يختم لنا وله بالحسنى، وهو أخو الطنطاوي الأصغر منه،

فيقول كنت أذهب أنا وأخي سعيد، لكن الطنطاوي هو الذي يناقش، فأزال ما في قلبه من التصوف.

مقاومة الاستعمار

الشيخ محمد الحامد ، من علماء حماة ، حنفي تتنازعه مدرستان : صوفية و سلفية ، و كان يحاول الجمع بين الطريقتين ، عفا الله عنه ، ولكن له إصلاحات طيبة في بلاد الشام ، و هو من المهتمين بمقاومة الاستعمار الفرنسي ، و هذه من محاسنه .

الشيخ طاهر الجزائري ، من المؤلفين ، و من أصحاب الكتب و المكتبات ، و ممن يوصي بقراءة كتب ابن تيمية .

الشيخ بدر الدين الحسني ، من مقاومي الاستعمار ، و كذلك الشيخ ابن باديس كما سبق .

الشيخ رحمة الله الهندي ، صاحب كتاب (الدين الخالص) ، و الذي بسبب هذا الكتاب اهتدى أحمد ديدات و صار داعية . فالشيخ رحمة الله الهندي كان مقاوماً للإنجليز في الهند ، فحكموا عليه بالإعدام ، فخرج الشيخ من الهند بملابس فلاح إلى اليمن ، ثم الحجاز ، ثم صار مدرساً في الحرم ، ثم سافر إلى تركيا زمن الدولة العثمانية ، ثم رجع إلى مكة ، فأنشأ (المدرسة الصولتية) المشهورة بين طلبة العلم في مكة . و الإنجليز لا يحكمون بإعدام شخص و هو عالم ، إلا لأنه أذاقهم الأمرين ، و إلا فلا يمكن أن يتجرؤوا على قتل عالم إلا بسبب قوي .

الشيخ نذير حسين ، مدار أسانيد الحديث هذا العصر ، محدث الهند . كان يفتي بمقاومة الإنجليز ، فأخرجوا عنه الإشاعات أنه قد خرج من دين الإسلام ، و أنه يجوز نكاح

المحارم ، فشاع هذا الأمر بين العوام ، ظناً منهم أن هذا الأمر ينطلي عليهم ، والله الحمد
والمنة ، فإنه كما قال الشاعر :

في كل وادٍ بنو سعد ... فلله أوسٌ قادمون وخزرج

فما باء علمهم إلا بالخسران ، وبعض العوام في غيرتهم أشد من طلبة العلم على المشايخ
في الدفاع عنهم ، وحبهم . فما زاد الشيخ بعد الإشاعة الكاذبة إلا أن استمر بالتعليم و
التحديث و الفتاوى ضدهم ، و وجوب مقاتلتهم ، حتى سجنوه سنة ، ثم أخرجوه من
السجن خوفاً من الناس . واستمر رحمه الله في جهاده و فتاويه ، حتى مات في زمن وجود
الإنجليز .

العلماء والقرآن

هم الرجال المصاييح الذين هم كأنهم من نجوم حية صُنِعُوا
أخلاقهم نورهم من أي ناحية أقبلت تنظر في أخلاقهم سطعوا
هذا الثناء الذي ما صاغه كلم وها هو المجد عند الباب يزدحم
مناقبٌ كنجوم الليل ظاهرةً قد زانها الدين والأخلاق والشيم

هذه الأبيات تنطبق على هؤلاء العلماء، الذين يقاومون الاستعمار، وهؤلاء الرجال هم ممن
يصح أن يقال فيهم :

ترى الناس ما سرنا يسرون خلفنا ... وإن نحن أومأنا إلا الناس وقفوا

الشيخ حمد بن فارس رحمه الله ، من علماء الرياض، ممن تتلمذ عليه عددٌ كبيرٌ من أهل
العلم، كان يجلس في مصلاه بعد صلاة الفجر يوم الجمعة لا يتحرك من جلسته ، يبدأ
بالقرآن و يختم قبل صعود الخطيب المنبر.

الشيخ عبد الفتاح قارئ ، من علماء القراءات في المسجد النبوي ، وتخرج عليه أيضًا عدد من العلماء والطلاب ، و والد الشيخ عبد العزيز قارئ ، إمام مسجد قباء ، و رئيس لجنة تصحيح المصحف في المدينة .

فيذكر الشيخ عبد العزيز قارئ عن والده الشيخ عبد الفتاح قارئ أنه كان فترة من الفترات عند أمير أبها ، الأمير السديري ، فتذاكروا في المجلس معلومة مشهورة بين أهل العلم ، هل يوجد أحدٌ يختم القرآن في ليلة ؟ قال الشيخ : نعم . فخرجوا إلى المسجد ، في رمضان ، و بدأ الناس يصلون معه فختم القرآن في ليلة ، بركعات في ليلة واحدة . ويقول بعض من كان معه : كنا نسمع القراءة ، ليست هذا ، سريعة ، لكنك تسمع القراءة واضحة . وانتهى قبيل الفجر .

الشيخ المحدث عبد الحق الهاشمي ، كان من علماء الهند ، درّس في الحرس ، فأصيب الشيخ بفتق في بطنه ، و قرر الأطباء أن يعمل له عملية . و قبل العملية عند التخدير ، قال الشيخ : لا تخدروني ، بل أبدأ بقراءة القرآن ، و اعملوا عملكم . فكان يقرأ القرآن ، و استمر بالقراءة حين انتهائهم من العملية ، ثم خاطوا الفتق ، و انتهى عملهم و هو يقرأ ، بلا انقطاع .

الشيخ عامر السيد عثمان ، من المقرئين المصريين المشاهير، عضو لجنة تصحيح مصحف المدينة ، توفي عام ١٤٠٨ هـ ، و كان الشيخ قد فقد حباله الصوتية آخر سبع سنوات ، فكان يقرئ الطلاب ، و استمر في إلقاء الطلاب و تعليمهم . و كان لا يجيب الطلاب إلا بشهيق أو بإشارة أنك أخطأت .

في مرض وفاته كان يغمى عليه و يفيق ، فرجع له صوته الطبيعي فقرأ القرآن قراءة تامة ، و ختم المصحف كاملاً ، و مات بعد الختمة .

إكرام العلماء

كان الشيخ عبد الحق الهاشمي يُجَلُّ الشيخ ابن باز كثيراً ، و هو أكبر من الشيخ ابن باز بقرابة العشرين سنة ، فكان إذا التقى أو جلس مع الشيخ ابن باز في مجلس و أرادوا الخروج ، فكلٌ منهم يقدم الآخر . فكان الشيخ عبد الحق الهاشمي يتقدم كما يقول أسوةً ببلال رضي الله عنه ، لما قال النبي ﷺ له : (سمعت خشخشة نعليك في الجنة) ، تشبه ببلال في تقدمه على الرسول في الرؤيا . و إكرام العلماء بعضهم لبعض أيضاً شيءٌ عجيب .

و الشيخ ابن باز يكرم العلماء من أي بلد ، و مشهورٌ بإكرام الناس ، حتى الشيخ محمد الغزالي بعد شهرته و انتشار كتبه ، و موقف بعض العلماء من بعض أطروحاته في الحديث و الفقه ، زار الشيخ ابن باز في الرياض ، فلما جلس مع الشيخ ابن باز ، قال أحد الحضور من الطلاب : يا شيخ ، ما حكم حلق اللحية ؟ قال : اذكر الله ، يريد أن يسكت ، حتى لا يخرج الشيخ محمد الغزالي . ثم قال السائل : يا شيخ ، أحسن الله إليك ما حكم سماع الغناء ؟ فقال له : اذكر الله ، سبح الله . و كان الغزالي على موعد مع غير الشيخ ابن باز ، لكنه لما رأى من الإكرام تأخر عن الموعد ، حتى أن المرافقين له قالوا : يا شيخ الموعد . فخرج معه الشيخ ابن باز حافياً إلى سيارته ، و أغلق الباب معه . و لما بلغ الغزالي مواعده قال : كنت في عالم ثانٍ ، مع صحابي لم ير الرسول ﷺ .

الشيخ عبدالعزيز بن باز كان إذا ركب السيارة قال : أسمعونا صوت حبيبنا . فيشغلون دروس شرح زاد المستقنع أو بعض الدروس للشيخ ابن عثيمين عبر جهاز التسجيل . و هذا الحديث من الشيخ ابن باز عن ابن عثيمين ، و هو تلميذه .

الزهد في الدنيا

أرسل أمير القصيم للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله سيارةً جديدةً ، فأوقفها الشيخ عند بيته خمسة أيام ، ثم أعطاها لابنه عبد الله ، وقال : أرجعها للأمير ، و قل له : جزاك الله خيراً ، لسنا بحاجة .

و كان رحمه الله لا يأخذ مالاً على تأليف الكتب للمعهد العلمي ، فرَّغ من التدريس في الجامعة ؛ لأجل تأليف بعض الكتب التي دُرِّست في المعهد العلمي الآن ، كمصطلح الحديث ، و أصول الفقه ، و كتاب العبادات من عمدة الأحكام . فيقول الشيخ عبد الله التركي : أرسلنا له مبلغاً على التأليف ، فردّه و قال : لا أستحق ذلك ؛ لأنني فرَّغت من التدريس في الجامعة مقابل التأليف ، فلا آخذ شيئاً .

و كانت بعض القصص من الورع و الزهد إذا ذكرت للشيخ ابن باز عن محمد بن عثيمين يقول : هذه لا يستطيعها إلا الشيخ محمد . فالشيخ ابن باز يشهد لتلميذه الشيخ محمد . و كان الشيخ ابن عثيمين لا يأخذ مالاً على المحاضرات التي يلقيها في كلية البنات ؛ لأنها محاضرات خارج عمله في الجامعة أو المعهد ، فكان يخرج تطوعاً من تلقاء نفسه ، يلقي محاضرات رسمية في كلية البنات .

و قد طُلب منه أن يقدم بحثاً ؛ لأجل الترقية في الجامعة . فقال الشيخ : لا ينبغي لطالب العلم أن يهتم بالرتب و الرواتب . فلم يقدم شيئاً .

و أخبرني شيخنا الشيخ عبد الله بن صالح الفوزان فيقول : جاءني أحد القضاة من بلدة الشامية بالقصيم ، فذهبت و إياه إلى الشيخ ابن عثيمين . فقال القاضي للشيخ : الآن عندي أرض بالشامية ، أرضٌ كبيرة ، فيها منازعات بين بعض الورثة ، لكن من ضمن مَلَائِك الأرض آل عثيمين في عنيزة ، فيا شيخ أكيد أنها لكم ، إذا تريد منها نصيباً . قال : إن كانت لي فهي لكم .

التعفف مع قلة ذات اليد

باع الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله فرش بيته ؛ ليشترى بعض الكتب .
و كان الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله ربما احتاج لبعض الكتب ، أو غيرها من
ضروريات الحياة ، فكان يبيع بعض أواني البيت ، و هو العلامة المشهور في بلده وسائر
البلاد في زمنه . فكان يبيع بعض أواني البيت و لا يخبر أحداً ، و لا يطلب من أحد شيئاً ،
و كان إماماً للجامع في عنيزة ، و لا يأخذ مقابلًا على الإمامة . و كان مشرفاً على بعض
الأوقاف الموقفة على الجامع و على طلبة العلم ، و لا يأخذ عليها مقابلًا .
و كان الشيخ محمد بن ابراهيم قد وكل الشيخ السعدي بالإشراف على المعهد العلمي ،
فكان الشيخ يشرف عليه ، و يحضر عند المشايخ و المدرسين ، منهم : الشيخ عبد الرزاق
عفيفي ، و الشيخ مناع القطان . فكان يحضر عندهم و يكتب التقارير للشيخ ابن ابراهيم ،
بوظيفة مفتش ، و لا يأخذ مقابل ذلك شيء من المال .
هم الرجال وعجز أن يقال لمن لم يتصف بمعاني وصفهم رجل

الحرص على الطلاب

الشيخ عبد الرحمن السعدي حرصه شديد على طلابه ، في متابعتهم ، و مراسلتهم ، و
الاهتمام بشؤونهم . و لما تتلمذ عليه شابٌ ذكي نابه ، اسمه : محمد بن عثيمين ، تتلمذ عليه
فترة ثم انقطع . فسأل عنه ، فقالوا : إن أهل ابن عثيمين مشغولون بالزراعة . فذهب
الشيخ لوالد محمد بن عثيمين ، فقال : اتركه عندي ، و اعتبره يشتغل عندكم . و يظهر أن
الشيخ أجرى للوالد بعض المال . فما مات السعدي إلا و هذا الشاب محمد بن عثيمين

كان يدرّس في المسجد ، و كان عمره أربعٌ و عشرون سنة . و من يظفر بالتدريس في زمن السعدي ، إلا مثل هذا الشاب الذكي رحمه الله .

كذلك حرص الشيخ ابن ابراهيم على طلابه ، و كان قد قسم الطلبة إلى مبتدئين ، و متوسطين ، و متتهين . و كان طلابه الذين كانوا قد بلغوا مبلغاً كبيراً في العلم يرشحهم مباشرةً ليكونوا قضاة ، و مدرسين في المعاهد ، و يديرون المعاهد العلمية و التي كانت فيما بعد جامعات معتمدة .

كذلك حرص الشيخ عبد الله القرعاوي على تلميذه حافظ الحكمي . اهتم الشيخ به ، و قرّبه منه ، و حظي منه بالعناية و الاهتمام . و كذلك الشيخ ابن باز مع تلاميذه ، و الشيخ ابن عثيمين مع طلابه .

و الشيخ صالح البليهي رحمه الله صاحب (السلسيل) ، يخرج بطلابه كل فترة يذهبون لأي قرية أو محافظة قريبة من بلدتهم . فأحدهم يخطب الجمعة ، و الآخر يلقي كلمة بعد الصلاة ، ثم يقيم أدائهم .

يُحدث الشيخ وليد الحسين صاحب (مجلة الحكمة) عن موقف له مع الشيخ ابن عثيمين في بداية طلبه للعلم ، فيقول : ذهبت للشيخ ابن عثيمين ، و حضرت عنده الدروس ، ثم احتجت للمال ، و هممت بترك الطلب ، فأعطاني الشيخ أربعة آلاف ريال . ثم ما لبثت أن انقضى المال . و استحيت أن أكلم الشيخ ، فسافرت .

و لما علم الشيخ بأمرى ، اتصل بأهلي ، و قال : أرجعوا وليد لطلب العلم ، و راتبه علي . فاستمر بالطلب عنده .

و من ذلك أن الشيخ ابن عثيمين كان يوزع كثيراً من الكتب على الطلاب ، و لا يأخذ مالاً على كتبه ، لكنه يشترط على الموزع ، أو الطابع أن يرسل له نسخاً بعدد طلابه ، فيوزعها عليهم .

و كان الشيخ جمال الدين القاسمي إذا وجد شاباً ذكياً من طلابه أخذ بيده ، و ذهب به لبعض العلماء و قال : درّسوا تلميذي .

فمن يفعل مثل هذا الفعل اليوم ، أن يوصي المشايخ على الطلاب ، و أن يقول مثلاً للشيخ الفلاني : أريد أن تُدرّس فلان و فلان من طلابي ، أو تكتب لهم شفاعاة أن فلان سيأتيك .

و لما ذهب الشيخ اسماعيل بن عتيق لطلب العلم عند الشيخ عبدالرحمن السعدي اعتذر منه الشيخ السعدي . يقول الشيخ اسماعيل : قال الشيخ : كما تشاهد ، الطلاب الآن انشغلوا بالتجارة . و كان في ذلك الوقت أهل عينة قد سبقوا في الذهاب للتجارة إلى الهند ، و الشام ، و مصر ، و هم أهل ثقافة و علم و تجارة . فينقل عن الشيخ قوله : ما عندي طلاب الآن ، و ليس هناك دروس ، و أنا منشغل بالتأليف ، لكن اذهب للشيخ عبدالله بن حميد في بريدة . فذهب إلى بريدة ، و كانت عامرة بالطلاب . فجلس ثلاث سنوات للتلمذ على علمائها .

إكرام العلماء

في حديث دار بين الشيخ الألباني و الشيخ عابد إلهي ظهير ، أخو الشيخ إحسان إلهي ظهير ، فيقول الألباني : كان أخوك إحسان من الأذكياء ، و لا أنسى أخلاقه و تأدبه معي .

سافرت و إياه للدعوة في لندن ، فكان يدلك قدمي احتراماً و تقديراً لي . و ذلك ليس تصوفاً ، إنما إكراماً .

في زمن الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - ، صلّى أحد الأئمة من الشباب التراويح إحدى عشرة ركعة .

فاستدعاه الشيخ ، و قال له : كيف تصلي إحدى عشرة ركعة ، و الناس يصلون ثلاثاً و عشرين ، على رأي أكثر أهل العلم .

قال الإمام الشاب : لكن الشيخ ابن باز يصلي أحد عشر ركعة .

فقال له : إذا صرت مثل الشيخ ابن باز ، فصلّ . و هذا من احترام الشيخ ابن إبراهيم لتلميذه ابن باز .

حتى مع الاختلاف ، نجد الاحترام و الإكرام واضحاً جلياً بين أهل العلم . من ذلك أن الشيخ الهندي عبد القادر السندي قد ألف رسالة في الرد على الشيخ الألباني في مسألة الحجاب ، حيث كان له رأي - عفا الله عنه - مخالف للصواب ، و يبقى له احترامه و تقديره .

فكان الشيخ عبد القادر السندي في مرض موته يقول لبعض تلاميذ الألباني : لو استقبلت من أمري ما استدبرت ، ما ألفت في الرد على الشيخ الألباني ، و أخشى أن يكون ما كتبت سبباً للطعن على الشيخ من أهل البدع .

تتبع أحوال المسلمين ، و الشفاعة لهم

شفاعات أهل العلم في قضايا المسلمين العامة و الخاصة كثيرة ، و قد تستوعب مجلدات لمن تتبّعها . و العالم إذا صدق مع الله و أخلص ، فإن الله يكرمه بالنعمة الكثيرة ، و من هذه النعم : الواجهة ، و قبول الخطاب عن المسؤولين سواء في بلده ، أو في بلدان المسلمين . و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده .

و ممن امتدّ نفعه إلى بلاد الدنيا ، سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - . حيث أنه يتحسس أحوال المسلمين ، و تصل إليه القضايا من شتى أقطار العالم ، طلباً للشفاعة ، أو الكتابة لمسئول ، أو فتوى .

و من شفاعاته في أحوال المسلمين : أن شفّع لشابٍ جزائري مظلوم ، سُجن في فرنسا ، بلغه خبره ، فكتب إلى رئيس فرنسا عن حالة هذا الشاب ، فأطلق سراحه .

و في شفاعة أخرى حين حكمت السلطات بالقتل على بعض الدعاة في إحدى البلاد الإفريقية ، فشفع لهم الشيخ .

و شفّع لسيد قطب أن لا يقتل ، لكن جمال عبد الناصر قتله . فصلى عليه الشيخ صلاة الغائب ، و في المساجد كذل . و كتب تحذيراً و إنكاراً لجمال عبد الناصر في ذلك . و من المكاتبات إنكار الشيخ ابن باز على حافظ الأسد لما فعله في حماة ، و نُشر في الصحف .

و من الحرص على أحوال المسلمين ما أخبر به الشيخ زهير الشاويش، صاحب المكتب الإسلامي ، أخبر أن الشيخ الألباني قد أعد نفسه إعداداً جهادياً ؛ لأجل الدخول إلى فلسطين ، لكن مُنع من الحكومة الأردنية .

الاهتمام بالسنة

الشيخ ابن باز معروف بالحرص على السنة ، فكان من يُقدم له النعل من المرافقين له ، أو من أولاده يقول : أقدم له النعل اليسرى ، فيرفع رجله ، و لا يلبس حتى أضع اليمنى . و في الأخذ ، و اللبس ، و الشرب ، و مشهور في الشيخ حبه للوتر ، كان يرى الوتر في كل شيء ، في الأكل ، و الشرب ، و اللبس .

و إذا ناول أحدُ شيئاً للشيخ الألباني باليد اليسرى قال له : الله يهديك ، الله يهديك . يكررها حتى ينتبه لذلك .

و أثنى الشيخ الألباني في بعض كتبه على أحد إخوانه ، و أخو هذا رجلٌ صالح و داعية ، لكنه ليس كالشيخ في العلم . فأثنى عليه ، و تألم لوفاته في بدايات القرن الحالي حاجاً ، و يقول : كان أخي في الحج ، و أخبرني من كان معه أنه كان في الحج ، فتعب ، فأسعفه من بجانبه ، و أتوا له بعصير ، ناوله أحدهم بيساره . فقال له : عليك بالسنة . يقول : فأعطاه باليمين ، و شرب العصير . ثم بعدما انتهى مات - رحمه الله - .

التواضع للخلق

يُخبر الشيخ عبدالله خياط - رحمه الله - عن والد زوجته الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة فيقول : لم أذكر الشيخ مرةً في مجلسٍ ، و لا خطابٍ ، و لا كتاب أنه تكلم عن نسبه ، مع أن نسب الشيخ محفوظ ، و معروف عند جماعته في مصر ، و لا يذكر ذلك لأحد . و هذا بلا شك من التواضع .

الشجاعة

الشيخ إحسان إلهي ظهير رجلٌ شجاع . و من مظاهر شجاعته أنه إذا ألف كتاباً عن الصوفية ، أو البريلوية ، أو الإسماعيلية ، أو الشيعة، يؤلف الكتب عنهم ثم يرسل لشيوخهم نسخة من الكتاب ، و يكتب اسمه ، و عنوانه ، و هاتفه. فهدد الشيخ بالقتل أكثر من مرة ، فعرض أحد التجار في بلده مائتين ألف دولار لمن يأتي برأس إحسان إلهي ظهير .

و استمر الشيخ في دعوته ، و لم يهتم ، و لم يلتفت إليهم . و قد زاره الشيخ عبد القادر شبيبة الحمد مرةً في بلده ، و كان عليه أثر الرصاص ، من رمي أعدائه ، و هو مستمرٌ في دعوته ، حتى قُتل في مؤتمر ، كان في المنصة ، و قد وُضع له قنبلة أمامه ، فقتل -رحمه الله- ، و حمل جثمانه إلى مكة ، و صُلي عليه ، و دفن في البقيع .

وكان من أغرب الطلاب ذكاءً ، و حفظاً ، و أدباً ، مشهور بين المشايخ ، و كان يقول : أتمنى أن أموت شهيداً ، و أن أدفن هنا في البقيع . فحصل له ما أراد رحمه الله.

عدم الرضا بالمدح

كتب مرةً الشيخ تقي الدين الهلالي المغربي أبياتاً في مدح الشيخ ابن باز ، و شبّهه ، و قاربه في الزهد بإبراهيم بن أدهم ، و أثنى على آل باز و على عائلته، في مجلةٍ طبعت في الهند لأهل الحديث ، ثم وُزعت نسخ كثيرة منها ، فلما بلغ ذلك الشيخ كتب مقالاً يرد على هذا المديح ، و على الأبيات ، و يذكره بالله ، و بحديث : (أحثوا في وجوه المداحين التراب) . و جاء في ردّه : لا أرضى بهذا المدح لي ، و لا لأهلي ، و لا لقبيلتي ، و إني أكره ذلك . و نشر في المجلة . و هذا ليس بتصنّع من ابن باز ، فهذه طبيعته ، لا يريد المدح .

و شاعرٌ أراد مدح الشيخ ابن عثيمين ، فلما بدأ بالأبيات أدخل اسم ابن عثيمين في قصيدته . فأوقفه الشيخ ، و قال : لا تربطوا العلم و الحق بالرجال ، اربطوا الحق بالحق .

و الشيخ عبد الرحمن بن قاسم كان إذا قال له أحدهم : (يا شيخ عبد الرحمن) . قال له : الشيخ حضرة جنابك . يعني أنت الشيخ ، و لا يريد كلمة شيخ .

و الشيخ فهد العبيد لا يرضى بلفظة شيخ . و إذا قال له أحد : (أحسن الله إليكم يا شيخ) كذا و كذا ، يريد أن يسأله . قال له : إذا تريد أن أعطيك خمسين ريالاً و تأخذُ الشيخة لك .

و الشيخ الألباني لما مدحه مقدم محاضرة ، و أثنى عليه ، قال الشيخ : لا أجدي كلاماً بعد هذا المدح ، إلا كما قال الخليفة أبو بكر الصديق : اللهم اجعلني خيراً مما يظنون ، و اغفر لي ما لا يعلمون ، و لا تؤاخذني بما يقولون . ثم بكى الشيخ رحمه الله .

فحب المديح ، و العُجب بالنفس و الزهو مما لا يليق بطالب العلم . و الإنسان يُدرك حقيقة نفسه ، و ضعفه ، و جهله ، بالترقي في العلم . و ليتمثل المسلم قول الشاعر :

لا تمدن إلى العلياء منك يدًا حتى تقول العلياء هات يدك

و لا تقدم نفسك للناس بمدح ، و لا تقل للناس امدحوني ، إن كان فيك خيرٌ و نفع للناس ، فالله عز وجل سيظهر الخير على يديك ، و لو لم ظهر الخير على يديك ، فالحمد لله دين الله باقٍ ، لم يذهب الدين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و لا أصحابه ، و لا الخلفاء الراشدين ، و لا العلماء ، بل إن دين الله دينٌ منصور . و سيبلغ ما بلغ الليل و النهار .

والدين منصورٌ و ممتحنٌ فلا تعجب فهذه سنة الرحمن

الرحلات و النزهة

كان الشيخ محمد الأمين الشنقيطي يخرج للنزهة كل أسبوع ، و هو عالمٌ، مفسرٌ ، محاضر ، و هو معلم العلماء . يخرج مع تلاميذه كل خميس للصيد ، و على حسابه ، و يأخذ معه البندقية ، و هو الذي يرمي ، يرمي الصيد .

كذلك الشيخ محمد بن إبراهيم كان يخرج مع بعض طلابه ، أو موظفي الإفتاء لقراءة بعض المعاملات و الكتب في الردف في الطائف .

كذلك في سيرة الشيخ عبدالله بن حميد التي كتبها محمد بن ناصر العبودي ، كان يذكر من حب الشيخ ابن حميد للبر الكثير ، و يقول : كان يخرج كل جمعة . و لو قلت لبعض طلبة العلم ذلك ، لقال : كيف يترك ساعة الإجابة ؟ ، و مال الإشكال في ذلك ؟ يخرج ساعة الجمعة ، و يدعوا و هو في البر ، ثم ماذا ؟ ، لأنه لم يترك شيئاً واجباً عليه . و قد يكون في خروجه في هذا الوقت مُستراحاً له ، و أدعى لتجديد النشاط . و يقول العبودي : لم تكن مع الشيخ سيارة ، فكان سائق الأمير يخرج بنا ، يتركنا في البر بعد صلاة العصر ، و يأتينا بعد المغرب .

و كان شيخ الإسلام ابن تيمية يخرج ، و يقول :
و أخرج من بين البيوت لعلني أحدث عنك النفس بالسر خالياً

الدعابة في حياة العلماء

الشيخ محمد الأمين الشنقيطي دخل عليه وهو في الجامعة الإسلامية في القاعة أثناء المحاضرة الملك فيصل و الوفد المرافق له ،و معه الطيب رشاد فرعون . فعرف الملك فيصل ، ثم سأل الشيخ الأمين الشنقيطي : من هذا ؟ ، قالوا : رشاد فرعون . قال : و ما أمر فرعون برشيد . و أكمل المحاضرة . فأعجب الملك فيصل بهذا الرجل ، حيث أنه لم يوقف التدريس ، و لم يرتعد أمام ولادة الأمر - رحمهم الله جميعا- .

الشيخ محمد بن إبراهيم شيخ مهيب ، يهابه العامة ، و العلماء ، و الأمراء . و كان الشيخ لا يضحك كثيراً ، بل ضحكاته نادرة . فمن النوادر التي ضحك فيها ، موقفٌ له مع الشيخ عبد الرحمن الإفريقي .

يُحدّثه الشيخ الأفريقي فيقول : يا شيخ ، أنا لما كنت أيام الشباب صاد أهلي ضب فذبحته ، ثم كان (يتهرك) ، يقولها بلكنته العربية الضعيفة ، ثم وضعته يا شيخ في القدر يطبخ فكان (يتهرك) ، فقلت لأهلي : هذا إذا أكلته (سيتهرك) . يعني سيخرج من بطني ، فضحك الشيخ ابن إبراهيم .

وصايا الآباء

وصايا الأب للابن تكون سبباً في بزوغ نجم علم أو عالم ، و قد تتلمذ عددٌ من العلماء على آبائهم ، و على أمهاتهم . من ذلك ما ذكر الشيخ عبد الله بن بسام رحمه الله أن من أسباب تأثره : والده . فيقول : والدي لم يسمح لنا أن ندرس في الكتاتيب ؛ لأنها تأخذ وقتنا ، و

يرى أن التعليم في وقتهم كان ضعيفاً . يقول : كان يدرسنا أبي الكتابة و القراءة و القرآن و نحفظ عنده القرآن ، فكلما مرينا على قصة نبي ، أو شيء يتعلق بالسيرة في القرآن فسّر لنا و شرح ، و ذكر القصة . فيقول : ما بلغت الثانية عشر من عمري حتى كان عندي حصيلة من قصص الأنبياء و السير و الأخبار و مواقع الأنبياء و أخبار السيرة و الغزوات . و كان هذا من أسباب انتفاعه و اهتمامه بالتاريخ .

و لما أخذت فرنسا الشيخ عبد الرحمن الأفريقي وهو صغير ، و كان ذكياً منذ أيام شبابه ، و أخذه الفرنسيون المستعمرون لبلده ؛ للتعليم ، في بعثة داخل إفريقيا في بلد آخر ، و يصرف عليه كل شيء . يقول : لما فارقت أبي ، ودعني و هو يبكي ، و قال : يا بني ، تذكر أنك مسلم ، و أنك سترجع إلينا ، و هؤلاء لم يأخذوك إلا و هو يريدون أن يغيروا دينك ، و سترجع إلينا . في عبارات تذكيرية تنفع لكل مبتعث ، فصارت من أسباب ثباته . فيقول الشيخ : كنت إذا حصل لي بعض الأمر أتذكر كلام أبي .

ثم قال له مرة المسؤول الفرنسي : أبناء بلدك الذين أتوا معك ، أو مثلك في هذه البعثة ، حصل لهم تمدن و حضارة ، و غيروا شكلهم ، وأنت ما تغيرت ، و تقرأ كتبك . يقول الشيخ : فغضبت عليه ، و تركته ، غضبة الله .

ثم ذهب إلى الحج ، و تعرف على بعض العلماء في المدينة ، و درس عند بعض الشيوخ ، علوم الآلة ، و علم أصول الفقه ، و الحديث ، و المصطلح ، فلما أراد أن يرجع بعد سنتين أو ثلاث إلى بلده قابل بعض أهل بلده في مجلس ، أو في المطار ، فقال : تخرج من بلد رسول الله و ما تعلمت التوحيد . يقول : فرجعت ، و أكملت الدراسة . فبرجوعه هذا استمر حتى صار عالماً ، و مدرساً في المسجد النبوي . و له كتاب عن (الرد على الطريقة التيجانية) ، يرد على صوفية بلده .

قصص لا تصح

الشيخ الألباني اشتهر عنه أنه وقع له حادثٌ ، فكان أثناء انقلاب السيارة قال أحد الركاب معه : يا ساتر ، يا ساتر . فقال الشيخ : اتق الله قل يا ستير ؛ لأن الستير اسم من أسماؤه الله .

فسئل الشيخ عنها . قال : لم أقل ذلك ، ولم يحصل لي هذا الأمر .

وكذلك سُئل الشيخ ابن عثيمين عن أنه سُئل عن لبس العقال في الحرم ، فأخذ عقلاً من أحد الطلاب ، ولبسه أمام الناس طيلة الدرس . قال الشيخ : لا أعرف ذلك ، ولم يحصل معي .

ومما أُشيع ، واشتهر عن الشيخ ابن باز أنه يقول : أريد أن أبصر ، حتى أرى الإبل التي قال الله عنها : (أفلا ينظرون إلى الإبل) . فهذا ليس بصحيح ؛ لأن الشيخ ابن باز عمي و هو في السادسة عشر من عمره .